

خصائص عصر النهضة

لكل عصر من العصور ما يميزه من الخصائص، وعصر النهضة كذلك له من الخصائص ما يميزه دون غيره من العصور، وهذه الخصائص هي:

1. الناحية الثقافية:

من العلامات الواضحة في عصر النهضة من ظهور تيارات ونظريات فكرية جديدة مثل: روح الشك والنقد والبحث وراء الحقيقة علاوة على إحياء الدراسات اللاتينية والإغريقية، ولقد نشأت النهضة الثقافية بعيداً عن الجامعات، ذلك أن هذه الجامعات كانت تهتم بدراسة الطب والقانون، مع احتمال عدم اهتمامها بالدراسات الإنسانية الأخرى، مما يجعل الدراسة قاصرة على ما سبق الإشارة إليه، بالإضافة إلى اللاهوت والقانون الكنسي والفلسفة.

ولقد عمل العلماء على استرداد الحقائق وما يرغبون فيه من مصادره الأساسية، لهذا فقد لجأوا إلى المخطوطات، وهذه المخطوطات إما مخطوطات إغريقية أو لاتينية، وكانت المخطوطات اللاتينية كثيرة في شبه الجزيرة الإيطالية أما المخطوطات الإغريقية فقد سبق وأن أشرنا إلى أنها كانت متوافرة في القسطنطينية والكنائس الكاثوليكية.

2. الناحية السياسية:

من الأشياء الطبيعية هو تأثير الحياة السياسية بمظاهر عصر النهضة، حيث إن العقول بسبب هذه الحركة تتورت إلى ما هو أسمى من النظام المتبقي عن العصور الوسطى، ذلك النظام الذي ساد بكل قوة قرناً عديدة ذاب فيه الفرد في المجتمع، فالفرد في العصور الوسطى وصل إلى أسفل الدرجات إذ كان قنا "عبداً" للأمير أو الكونت مثلاً. لكن في أواخر العصور الوسطى أخذ الفرد يتحرر من العبودية تدريجياً بسبب تطورات جذرية، منها اجتياح الطاعون الأسود لأوروبا ففضى على نسبة عالية جداً من السكان، فأصبح الأمير "مثلاً" في حاجة إلى اليد العاملة التي تستطيع أن تعمل عنده أو عند غيره، وأخذت قدرات الأمراء والكونتات تضعف، أما قدرات الملك على التحكم في الدولة فقد نمت على نحو ما حدث في إنجلترا وفرنسا من ظهور أسرار قوية حاکمة استطاعت أن تقرض سلطتها المركزية إلى حد كبير جداً، واستطاعت أن تجعل ولاء أفراد الشعب للملكية وللوطن وليس لغيرهما.

ولذا نجد أن عدداً من الدول نجحت في إقامة دولة قومية حديثة ومنها إنجلترا وفرنسا وإسبانيا، وقد دعم عصر النهضة هذا الاتجاه واستغلت هذه الدولة الطبقة الجديدة "البرجوازية" التي

نشأت معها، وهي تلك الطبقة التي نمت مع التجارة في تدعيم حكومات هذه الأمم. ومما ساعد هذه الدولة على ذلك تصدع الإمبراطورية والكنيسة اللتين استمرتاً طوال العصور الوسطى تتلاعبان بخيوط الحياة في أوروبا حتى ضعفتا وأفسحا المجال لظهور الدول القومية.

فقد اندثرت بعض النظريات السياسية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، ومن ذلك النظرية القائلة بأن الكنيسة لها الهيمنة على الحياة الروحية الدينية، في حين يحكم الإمبراطور في الأرض بتفويض من الله، وليس لأي شخص أن يحاسب الإمبراطور حيث إنه يستمد سلطاته من الله، وظهرت نظريات جديدة تناسب العصر، ومنها النظرية التي تؤمن بأن للملك الحق في استخدام كافة الوسائل التي يراها مناسبة لنمو ورقي الأمة، وكذلك النظرية الأخرى القائلة بأن الحركة إنما أنشئت لأهداف واضحة وهي تحقيق مصلحة المحكومين.

3. الناحية الاقتصادية:

أدى عصر النهضة الزاهر إلى آثار اقتصادية كانت أساس السياسة العالمية السائدة في العالم بعد ذلك إذ نشطت التجارة العالمية بالمنتجات الأوروبية، وذلك في أعقاب الكشف الجغرافية. وقد مهدت هذه الخطوة إلى انتشار التجارة الأوروبية في أنحاء العالم وهو ما أدى فيما بعد إلى الاستعمار.

وتغيرت النظريات الاقتصادية، فقد كان الإقتصاد حتى بداية هذه الفترة هو اقتصاد قائم على الاكتفاء الزراعي فقط، أما فيما بعد ظهر اقتصاد زراعي تجاري متداخل والذي استمر في الثلاثة قرون المتتالية فيما بعد وكان نواة الثورة الصناعية الأوروبية.

4. الآثار وعلم التاريخ:

كانت الآثار الرومانية التي تذر بها إيطاليا عامة وفرنسا خاصة تلك الآثار التي طالما بقيت باعثاً للعمل ولإنتاج العلمي فيما بعد، وكانت هذه الآثار في العصور الوسطى تتعرض للعبث والسرقة وخاصة من النبلاء الذي كانوا يودون لو وجدت هذه الأشياء بقصورهم الضخمة، أما السواد الأعظم من الشعب كان لا يدرك قيمة هذه الآثار، لذلك فإنه ومنه بداية عصر النهضة بدأ فنانون هذا العصر في الاهتمام بهذه الآثار والتنقيب عنه والمحافظة على ما بقي من آثار الحضارة القديمة.

وكما تعرضت العلوم المختلفة إلى الإحياء والتطوير فإن التاريخ كان من العلوم التي كان لها نصيب من الإهتمام، حيث تطورت مناهج البحث التاريخي وظهرت المدارس النقدي، وأهم الأبحاث التي ظهرت في تلك الحقبة هو بحث المؤرخ الإيطالي لورنزو فاللا عن هبة قسطنطين، تلك الوثيقة

التي تعود إلى القرن الرابع، وقد أثبت هذا المؤرخ الإيطالي بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الوثيقة قد زيفت في الكنيسة وتحت علم وإشراف البابا للاستناد عليها في الصراع ضد الأباطرة الغربيين. وكذلك فقد تكونت مدرسة نقد تاريخي في فلورنسا.

5. اللغات الحديثة:

من الحسنات التي لا زال باقية لعصر النهضة حتى وقتنا هذا هي ظهور اللغات المحلية وهي اللغة السائدة للعلم والكتابة، ومع بداية العصر الحديث. فنشأت فئات من علماء وأدباء كل إقليم وباستخدام لهجاتهم المحلية كلغة قومية لهم، ومن هنا نشأت في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا لغات تعود في أصلها إلى الأصل اللاتيني، وعمل علماء هذه البلاد على الارتقاء بهذه اللغة، ومن ثم فقد أصبحت هذه اللغات مظهراً من مظاهر القومية، ونشأت فئة من العلماء والأدباء عكفوا على التأليف في مجال دراستهم بلغتهم المحلية الجديدة ومنهم جفرى تشوسر Geoffey chaucer حيث كتب "قصص كانتربري" باللغة الانجليزية الحديثة وكذلك دانتي Danti حيث كتب "الكوميديا الإلهية" باللغة الإيطالية الجديدة ومونتي الفرنسي Montagne والذي كتب رسائله الفلسفية في الأخلاق والفلسفة.

6. الفنون الجميلة:

من الأشياء التي لا يمكن أن تكون غريبة على المتصفح لعصر النهضة هو التقدم في الفنون الجميلة، ذلك أن الفنون الجميلة ما هي إلا سلسلة متصلة الحلقات منذ الحضارة القديمة الرومانية، وهذا ليس بغريب على مواصلة هذا العطاء، ولكن الملاحظة الواضحة في هذه الفترة أن الفنانين لم يقوموا بنحت هذه التماثيل وغيرها بحث من الحاكم أو الامبراطور ولكنهم كانوا يقومون بهذه الأعمال الجميلة بفضل ابتكاراتهم الفنية الجديدة، ولهذا فإنهم لم يدخروا إبداعاً فنياً إلا وأظهروا في أعمالهم النابضة بالحياة، لذا فإن الفنانين في الوقت الحاضر يدينون لهؤلاء الفنانين أبناء عصر النهضة بأنهم أصحاب الفضل الأعظم في الفنون الجميلة الحديثة والمعاصرة، ومن هؤلاء الفنانين الذي ظهروا في فترة عصر النهضة ليونارد دافنشي Leonardodevinci وكذلك مايكل أنجلو Michael Angel ورافائيل Rafael.

أما العمارة فإنها عادت إلى الحياة وبشكل جديد فإنها تأثرت بحركة إحياء العلوم والفنون ولم

تكن مجرد تقليد للقديم أو محاكاة له. ومن هنا أدخلت العناصر النباتية والهندسية إلى فن العمارة, وكانت فلورنسا هي أول المدن التي شهدت هذا التطور, قم انتقلت منها إلى باقي المدن الإيطالية, وممن نبغوا في هذا المجال برونلسكو Brunellesco والذي وضع لمسة جمالية أخيرة إلى كاتدرائية فلورنسا وهي القبة الجميلة التي وضع فيها خلاصة إبداعاته الفنية الجميلة.

على ان هناك شيئاً يجب وضعه في الاعتبار وهو ان الفن في هذا العصر أخذ شكلاً لم يكن مألوفاً ومعروفاً من قبل على الرغم من وجود العامل الأساسي الداعي لهذا الشكل, فنحن نجد ان الفنون في هذا العصر قد أصبحت ذات صفة دينية خادمة الاتجاه الديني في تمثيل بعض الشخصيات المسيحية الرومانية حتى لتذخر الكنائس والكاتدرائيات في ايطاليا على وجه الخصوص بالصور الناطقة والتماثيل المعبرة عن الحياة لشخصية السيد المسيح والسيدة مريم وغير هؤلاء من الشخصيات الدينية من القديسين والأدباء الذين تمتلئ بهم الكتب المسيحية في هذه الفترة.

7. التمتع بملذات الحياة:

من الآثار السيئة التي لا يمكن إغفالها لعصر النهضة تلك السلبيات التي بدأت تظهر كنتيجة طبيعية لهذا التقدم والتطور في شكل الحياة, حقيقة إن النساء كن يخرجن من قبل ولكن الآن وبعد ظهور هذه النهضة انحلت الأخلاق وتداعت القيم وسقطت المبادئ, فها نحن نرى ونقرأ عن العلاقات الغير مشروعة بين الرجال والنساء وكأنها الحاضر, ففي تلك الفترة لم يهتم الرجال والنساء على حد سواء بشيء الا ارضاء غرائزهم بغض النظر عن نتائج هذا, ولكن ليس معنى أن أناس هذا العصر لم يكونوا أسر بل أنهم كانوا يكونونها ولكن ليس للغرض الحقيقي من إقامة هذه الأسرة ولكن لانهم وجدوا أنها عادة اجتماعية عودوا عليها, ولا بد منها كشكل نظري للحياة الاجتماعية يخفون وراءها نتائج ملذاتهم.

ونعلم أن البابا كان يعيش في العصور الوسطى في قصر كما لو كان ملكا وتوجا فإنه ومن السهل علينا أن نعرف الصورة التي أصبح عليها في عصر النهضة هذا, وخاصة بعد ان انحلت القيم على الشكل الذي أوضحناه, فبالإضافة إلى الملذات والمحرمات التي انغمس فيها كبار رجال الدين نجدهم يبحثون عن الأموال, فلكل شيء ثمنه في هذا العصر, ومن ثم كانوا يتبعون كل الوسائل الشريفة وغير الشريفة, المشروعة وغير المشروعة لجمع الأموال, فإلى جانب جمع التبرعات والهبات والزكاة كانوا يبيعون صكوك الغفران ويشتركون في أعمال السلب والنهب, والأكثر من ذلك هو الاعتداء على النساء كما لو كانوا أمراء في العصور الوسطى, ومن ثم ظهر تطور طبيعي

ومتوقع لكل هذه السلبيات فيما بعد في العصر الذي اصطلح على تسميته بالإصلاح الديني الذي أراد رواده القضاء على هذه المهازل بما يتناسب مع العقل والدين.